سالم
موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com

تعليقات

الشيخ هيثم سرحان

حفظه اللّٰه

على

«نواقض الإسلام

للشيخ محمد عبد الوهَّاب»

رحمه اللّٰه

النُّسخة الإلكترونية الثَّانية

الشيخ لم يراجع التفريغ

بسم الله الرَّحمٰن الرحيم

بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَـٰنِ الرَّحِيمِ

اعْلَمْ أَنَّ نَوَاقِضَ الْإِسْلَامِ عَشَرَةُ نَوَاقِضَ:(١)

الْأَوَّلُ: الشِّرْكُ فِي عِبَادَةِ اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ.(٢)

قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُۚ﴾[النساء:٤٨]، وقال: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾[المائدة].

وَمِنْهُ الذَّبْحُ لِغَيْرِ اللهِ، كَمَنْ يَذْبَحُ لِلجِنِّ أَوْ لِلْقَبْرِ(٣).

الثَّانِي: مَنْ جَعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ وَسَائِطَ يَدْعُوهُمْ وَيَسْأَلُهُم الشَّفَاعَةَ وَيَتَوَكَّلُ عَلَيْهِمْ كَفَرَ إِجْمَاعًا.

الثَّالِثُ: مَنْ لَمْ يُكَفِّرِ المُشْرِكِينَ، أَوْ شَكَّ فِي كُفْرِهِمْ، أَوْ صَحَّحَ مَذْهَبَهُمْ، كَفَرَ.(٤)

الرَّابِعُ: مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ غَيْرَ هَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ أَكْمَلُ مِنْ هَدْيِهِ أَوْ أَنَّ حُكْمَ غَيْرِهِ أَحْسَنُ مِنْ حُكْمِهِ [كَالَّذِينَ يُفَضِّلُونَ](٥) حُكْمَ [الطَّوَاغِيتِ](٦) عَلَىٰ حُكْمِهِ فَهُوَ كَافِرٌ.

الخَامِسُ: مَنْ أَبْغَضَ شَيْئًا مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ وَلَوْ عَمِلَ بِهِ كَفَرَ.(٧)

السَّادِسُ: مَنِ اسْتَهْزَأَ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِ [اللهِ](٨) أَوْ ثَوَابِهِ أَوْ عِقَابِهِ كَفَرَ؛ والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿قُلۡ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمۡ تَسۡتَهۡزِءُونَ ٦٥ لَا تَعۡتَذِرُواْ قَدۡ كَفَرۡتُم بَعۡدَ إِيمَٰنِكُمۡۚ﴾[التوبة].

السَّابِعُ: السِّحْرُ، وَمِنْهُ الصَّرْفُ وَالْعَطْفُ، فَمَنْ فَعَلَهُ أَوْ رَضِيَ بِهِ كَفَرَ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ﴾[البقرة:١٠٢].

---

(١) في الدّرر السنية (١٠/ ٩١): اعْلَمْ أَنَّ مِنْ أَعْظَمِ نَوَاقِضِ الإِسْلَامِ عَشَرَةٌ.

(٢) في الجامع الفريد (ص٣٢٠): الشِّرْكُ فِي عِبَادَةِ اللهِ تَعَالَىٰ.

(٣) في الدّرر السنية (١٠/ ٩١): القِبَاب.

(٤) في الدّرر السنية (١٠/ ٩١) زيادة لفظة: إِجْمَاعًا.

(٥) في الجامع الفريد (ص٣٢٠): كَالَّذِي يُفَضِّلُ.

(٦) في الدّرر السَّنية (١٠/ ٩١): الطَّاغُوت.

(٧) في الدّرر السنية (١٠/ ٩٢) زيادة: إِجْمَاعًا، والدليل قوله تعالىٰ: ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمۡ كَرِهُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأَحۡبَطَ أَعۡمَٰلَهُمۡ ٩﴾ [محمد: ٠٩].

(٨) في الجامع الفريد (٣٢٠): الرَّسُول ﷺ.

الثَّامِنُ: مُظَاهَرَةُ المُشْرِكِينَ وَمُعَاوَنَتُهُم عَلَىٰ المُسْلِمِينَ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾[المائدة].

التَّاسِعُ: مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ [يَسَعُهُ الخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَةِ مُحَمَّدٍ ﷺ][(١)] كَمَا وَسِعَ الخَضِرَ الخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَةِ مُوسَىٰ عليه السلام فَهُوَ كَافِرٌ.

العَاشِرُ: الإِعْرَاضُ عَنْ دِينِ اللهِ، لَا يَتَعَلَّمُهُ وَلَا يَعْمَلُ بِهِ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِۦ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَآ ۚ إِنَّا مِنَ ٱلْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [السجدة].

وَلَا فَرْقَ فِي جَمِيعِ هَٰذِهِ النَّوَاقِضِ بَيْنَ الهَازِلِ وَالجَادِّ والخَائِفِ، إِلَّا المُكْرَه، وَكُلُّهَا مِنْ أَعْظَمِ مَا يَكُونُ خَطَرًا، وَأَكْثَرِ مَا يَكُونُ وُقُوعًا، فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَحْذَرَهَا، وَيَخَافَ مِنْهَا عَلَىٰ نَفْسِهِ، نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ مُوجِبَاتِ غَضَبِهِ وَأَلِيمِ عِقَابِهِ.

[وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ مُحَمَّد][(٢)].

(١) في الدّرر السنية (١٠/ ٩٢): لَا يَجِبُ عَلَيْهِ اتِّبَاعَهُ ﷺ.

(٢) في الجامع الفريد (ص٣٢١): وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ.

سالم
موقع التفريغ
للدروس العلمية والبحوث الشرعية
www.attafreegh.com

بسم الله الرَّحمٰن الرَّحيم

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام علىٰ أشرف الأنبياء والمرسلين؛ نبيِّنا محمَّد وعلىٰ آله وصحبه أجمعين.

قال شيخ الإسلام محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ في نواقض الإسلام: (بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ) يبدأ العلماء بالبسملة اقتداءً بالكتاب العزيز، واقتداءً بالأنبياء والرُّسل عليهم الصَّلاة والسَّلام، واستئناسًا بحديث «كلُّ أمر ذي بال» وإن كان ضعيفًا، واقتداءً بعلماء السَّلف، وتيمُّنًا وتبرُّكًا بالبداءة بـ(باسم الله).

قال رَحِمَهُ اللَّهُ تعالىٰ: (اعْلَمْ أَنَّ نَوَاقِضَ الْإِسْلَامِ عَشَرَةُ نَوَاقِضَ)

عادة الشَّيخ محمَّد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ في كُتبه أنَّه يذكر لك المسائل مقيَّدةً بعددٍ معيَّن، وهٰذه طريقة النَّبيِّ ﷺ وسوف يأتي معنا إن شاء الله، قال: «اجتنبوا السَّبع المُوبقات»، «خمسٌ من الفطرة» لماذا؟ حتىٰ إذا انفض وانتهىٰ المجلس يستطيع الصَّحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أن يضبطوا هٰذه الأمور التي ذُكرت في مجلس النَّبيِّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، والإمام محمَّد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ سار علىٰ طريقة النَّبي ﷺ فهو يقول مرة: الأصول الثَّلاثة، القواعد الأربع، المسائل الثَّلاثة ، نواقض الإسلام عشرة.

ذكر لك هنا عشرة نواقض، هل هي محصورة بهٰذه العشرة ؟

ليست محصورة، وسوف نرىٰ من كلام الإمام محمَّد بن عبد الوهَّاب أنَّه يقول: ليست محصورة بهٰذه العشرة؛ لكن هي أعظم النَّواقض، نسأل الله السَّلامة والعافية.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (الْأَوَّلُ: الشِّرْكُ فِي عِبَادَةِ اللهِ.)

الشِّرك في عبادة الله، وأراد بالشِّرك هنا: الشِّرك الأكبر، لأنَّ الشِّرك الأكبر نسأل الله السَّلامة والعافية مُخرجٌ من الملَّة بخلاف الشِّرك الأصغر فإنَّه غير مخرج من الملَّة.

هٰذا وتقدَّم معنا أنَّ الإنسان إذا تاب في وقتٍ تُقبل فيه التَّوبة سواء كان من الشِّرك الأكبر أو الأصغر تاب الله عليه لعموم الأدلَّة ﴿يَٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُواْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُواْ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ﴾ [الزمر:٥٣].

لكن الإشكال إذا مات علىٰ الأكبر، فهو خالدٌ مخلَّد خلودًا أبديًّا في النَّار، وإذا مات علىٰ الشِّرك الأصغر يعذَّب بقدر شركه ثم يدخل الجنة، هٰذا علىٰ قول .

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (قَالَ اللهُ تَعَالَىٰ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ۚ﴾)

هٰذه عادة المصنِّف أنَّه لا يذكر مسألة إلَّا مقرونةً بالدَّليل، وهٰذه ميزة تميَّزت بها كتب الإمام محمَّد بن عبد الوهَّاب أنَّه يذكر الأدلَّة من الكتاب والسُّنَّة .

والله ﷻ قال: ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ يعني من الكبائر والصَّغائر، وهٰذه الآية فيها دليل لمعتقد أهل السُّنّة والجماعة أنَّ صاحب الكبيرة غير مخلد خلودًا أبديًّا في النَّار، وأنَّه تحت المشيئة؛ إن شاء الله ﷻ عذَّبه وإن شاء عفا عنه.

قلنا: الشِّرك إذا تاب في وقتٍ تُقبل فيه التَّوبة تاب الله عليه، وإذا مات علىٰ الأكبر فهو مخلَّد خلودًا أبديًّا في النَّار، وإذا مات علىٰ الأصغر يعذَّب بقدر شِركه ثم يدخل الجنَّة، هٰذا قول في الشِّرك الأصغر.

القول الثَّاني : أنَّه مثله مثل الكبائر تحت المشيئة إن شاء الله ﷻ عذبَّه وإن شاء عفا عنه.

القول الثَّالث: وسط بين القولين، إذا كان الشِّرك الأصغر قليلًا فهو تحت المشيئة، وإن كان كثيرًا فلابدَّ من العذاب.

ثم بعد هٰذا يدخل الجنَّة علي أي اعتبار؟ صاحب الشِّرك الأصغر لا يُخلد في النَّار خلودا أبديا.

يجب أن نحذر من الشِّرك سواءً كان أكبر أو أصغر ، وتقدَّم معنا أنّه عندنا صغائر وأعلىٰ منها كبائر وأعلىٰ منها الشِّرك الأصغر، إذا لا يمكن أن يكون الشِّرك الأصغر مثل الكبائر.

ما هو الدليل علىٰ التَّفريق بين أنَّ الشِّرك الأصغر أكبر من الكبائر؟

الدَّليل الآية ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغۡفِرُ أَن يُشۡرَكَ بِهِۦ وَيَغۡفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ ﴾ وقلنا هٰذا في معتقد أهل السُّنة والجماعة أنَّ صاحب الكبيرة لا يخلد في النّار خلودًا أبديًّا ولا يكفر، وقال: (لئن أحلف بالله كاذبًا أحبُّ إليّ من أن أحلف بغيره صادقًا) أراد أن يبرهن للنَّاس ويبيِّن أنَّ الشِّرك الأصغر أكبر من الكبائر مع أنَّ ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لا يحبُّ هٰذا ولا هٰذا.

قال: (**وقال تعالىٰ**: ﴿إِنَّهُۥ مَن يُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ فَقَدۡ حَرَّمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِ ٱلۡجَنَّةَ وَمَأۡوَىٰهُ ٱلنَّارُۖ وَمَا لِلظَّٰلِمِينَ مِنۡ أَنصَارٖ ٧٢﴾)

إذاً لا يمكن أنَّ صاحب الشِّرك الأكبر يدخل الجنَّة بأيِّ حال من الأحوال، وهٰذا هو معتقد أهل السُّنّة والجماعة.

قال: (**وَمِنْهُ الذَّبْحُ لِغَيْرِ اللهِ، كَمَنْ يَذْبَحُ لِلجِنِّ أَوْ لِلْقَبْرِ**)

لا يستطيع المصنِّف أن يحصر لنا أنواع الشِّرك الأكبر؛ لكن ذكر لنا أمثلة منها قال: (**الذَّبْحُ لِغَيْرِ اللهِ**) محبَّةً

وتعظيمًا، كالذَّبح لأصحاب القُبور أو الذَّبح للجن.

قال رَحِمَهُ اللَّهُ: (الثَّانِي: مَنْ جَعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ وَسَائِطَ يَدْعُوهُمْ وَيَسْأَلُهُم الشَّفَاعَةَ وَيَتَوَكَّلُ عَلَيْهِمْ كَفَرَ إِجْمَاعًا.)

الكفَّار الذين بُعث فيهم النّبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- كانوا يعتقدون أنَّ الله ﷻ منفردٌ بتوحيد الرُّبوبية، وشركهم كان في توحيد الإلوهية، ووقعت الخصومة بينهم وبين النَّبي ﷺ في هٰذا التَّوحيد توحيد الألوهية ﴿وَلَآ أَنتُمۡ عَٰبِدُونَ مَآ أَعۡبُدُ ۝٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٞ مَّا عَبَدتُّمۡ ۝٤﴾[الكافرون] وقال: أنَّهم لا يعتقدون أنَّ هٰذه الآلهة تخلق وترزق وتدبِّر؛ بل أرادوا منها القُربة والشَّفاعة، وهٰذا أخذناه في القاعدة الثَّانية من القواعد الأربع؛ فكلُّ من طلب الشَّفاعة من غير الله فيما لا يقدر عليه إلَّا الله فهو مشركٌ شركًا أكبر ووافق الكفَّار الذين بعث فيهم النَّبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، والشَّفاعة حقٌّ لله ﴿قُل لِّلَّهِ ٱلشَّفَٰعَةُ جَمِيعٗاۖ﴾[الزمر:٤٤]، لكن الشَّفاعة تصحُّ أن تطلب من المخلوق فيما يقدر عليه بأربعة شروط :

أن يكون حي، وحاضر، وقادر، أنه يعتقد أنه سبب لا مؤثر بذاته.

إذاً كلُّ من طلب القربة والشَّفاعة من غير الله فيما لا يقدر عليه إلَّا الله فهو مشركٌ شركًا أكبر ، ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾[الزمر:٣]، ﴿هَٰٓؤُلَآءِ شُفَعَٰٓؤُنَا عِندَ ٱللَّهِۚ﴾[يونس:١٨].

و تقدَّم معنا تفصيل في الشّفاعة..

وقلنا الشَّفاعة لغةً: من الضَّم وجعل الواحد اثنان .

وشرعًا: التَّوسط للغير في جلب نفع ودفع ضر.

تنقسم الشَّفاعة إلىٰ قسمين :شفاعة مثبتة وشفاعة منفية.

الأوَّل: الشَّفاعة المنفيَّة هٰذه التي عناها الإمام محمَّد بن عبد الوهاب أنَّها نوعٌ من الشِّرك الأكبر، وهي التي نفاها القرآن وتُطلب من غير الله فيما لا يقدر عليه إلَّا الله، خرج به فيما يقدر عليه المخلوق.

قلنا: تصحُّ أن تُطلب الشَّفاعة من المخلوق فيما يقدر عليه بأن يكون حيٌّ حاضر قادر سبب.

الثّاني: الشَّفاعة المثبتة أثبتها الله ﷻ لنفسه، وتطلب من الله، وتطلب من الله بثلاثة شروط:

- الإذن بالشّفاعة ﴿مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ﴾[البقرة:٢٥٥].
- والرِّضا عن الشَّافع.

- والرِّضا عن المشفوع له.

وجمعتُ هٰذه الشُّروط الثَّلاثة في قوله ﷻ: ﴿ وَكَم مِّن مَّلَكٍ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ لَا تُغۡنِي شَفَٰعَتُهُمۡ شَيۡـًٔا ﴾ قلنا: ﴿شَيۡـًٔا ﴾ نكرة تعمَّ كلَّ شيء ﴿إِلَّا مِنۢ بَعۡدِ أَن يَأۡذَنَ ٱللَّهُ لِمَن يَشَآءُ وَيَرۡضَىٰٓ ﴿٢٦﴾﴾[النجم]، حتَّىٰ النَّبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- لا يستطيع أن يبدأ بالشفاعة يوم القيامة حتىٰ يأتي الإذن من الله ﷻ.

هٰذه الشَّفاعة المثبتة تنقسم إلىٰ قسمين:

- شفاعة خاصَّة بالنَّبي ﷺ لا يشاركه فيها أحد.

- وشفاعة عامَّة لكلِّ موحِّد: للنَّبي ﷺ وللأنبياء والرُّسل -عَلَيْهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- وللملائكة وللصَّالحين وللشُّهداء، وكلُّ موحِّد، وللأفراط يعني الأطفال الصِّغار.

الشَّفاعة الخاصَّة بالنَّبيِّ ﷺ ثلاثة :

١- الشَّفاعة العُظمىٰ في أهل الموقف أنَّ الله ﷻ يقضي بين الخلائق .

٢- والشَّفاعة في عمِّه أبي طالب أن يخفِّف عنه العذاب.

٣- والشَّفاعة في فتح أبواب الجنَّة.

الشَّفاعة العامَّة لكلِّ موحِّد:

١- الشَّفاعة في رفع الدَّرجات كالصَّلاة علىٰ الجنازة كما قال النَّبي ﷺ: «**اللَّهمَّ اغفر لأبي سلمة وارفع درجته في المهديِّين**».

٢- الشَّفاعة في من دخل النَّار من الموحِّدين أن يخرج منها لأنَّ الموحِّد لا يخلّد في النَّار خلودًا أبديًّا، والذي يخلَّد في النَّار خلودًا أبديًّا هو المشرك شركًا أكبر.

٣- والشَّفاعة فيمن استحقَّ دخول النَّار من الموحِّدين أن لا يدخلها.

قوله: (الثَّانِي: مَنْ جَعَلَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللهِ وَسَائِطَ يَدْعُوهُمْ وَيَسْأَلُهُم الشَّفَاعَةَ)

إذن الله ﷻ علّق الخلق به ﷻ، وهؤلاء الكفَّار يريدون أن يعلِّقُوا الخلق بالخلق، والله ﷻ قال : ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ ۖ أُجِيبُ دَعۡوَةَ ٱلدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ۖ﴾[البقرو:١٨٦].

طلب الدُّعاء من المخلوق: هل يصح طلب الدعاء من المخلوق ؟

إذا كان فيه نوع افتقار، هٰذا نوعٌ من الشِّرك الأصغر، يأتي بعض النَّاس إلىٰ بعض الصَّالحين ويقول: أنا عندي كذا وكذا من المرض وزوجتي بها كذا وكذا، فأريد أن تدعو لي لأنِّي محتاج وكذا، ويُظهر افتقاره للمخلوق،

هٰذا نوع من الشِّرك الأصغر، وإذا كان طلب الدُّعاء من حيّ وحاضر وقادر ويعتقد أنَّه سبب، فهٰذا يصحّ لكن الأولىٰ تركه.

وقوله: (وَيَتَوَكَّلُ عَلَيْهِمْ كَفَرَ إِجْمَاعًا.)

التَّوكل هو صدق الاعتماد علىٰ الله ﷻ مع الثِّقة به والأخذ بالأسباب.

لابدَّ من ثلاثة أشياء في التَّوكل:

الأوَّل: أن يكون صادقا في اعتماده علىٰ الله.

الثَّاني: أن يكون واثقًا بأنَّ الله ﷻ منجزٌ له ما وعد.

الثَّالث: لابدَّ من الأخذ بالأسباب.

وينقسم التَّوكُّل إلىٰ ثلاثة أقسام :

الأوَّل: اعتمادٌ مطلق وتفويض جميع أموره إليه، واعتقاد بأنَّ بيده جلب المنافع ودفع المضار.

هٰذا صرفه لغير الله شركٌ أكبر، فهٰذا الذي يقصد المصنِّف بالتَّوكُّل في النَّاقض الثَّاني؛ فإذا اعتمد اعتمادًا مطلقًا وفوَّض جميع أموره إلىٰ هٰذا الذي يقصد من الآلهة والأصنام وغير ذلك، فهٰذا هو الشِّرك الأكبر، فصرفه لغير الله شرك أكبر.

الثَّاني: التَّوكل اعتماد علىٰ حيٍّ مع نوع افتقار، مثل ما ذكرنا في الدُّعاء أن يفتقر للمخلوق، هٰذا نوعٌ من الشِّرك الأصغر.

إذن القسم الثَّاني من التَّوكل هو اعتمادٌ علىٰ حيٍّ لا علىٰ ميِّت مع نوع افتقار.

مثاله: بعض النَّاس ينفق عليه الأمير، مثلًا يعطيه مكافأةً كلَّ شهر فتأتي لهٰذا الرَّجل وتقول: من أين لك المال والنَّفقة؟ يقول: من هٰذا الأمير.

طيب لو قطع عنك هٰذا الأمير النَّفقة والمكافأة هٰذه، ماذا تصنع؟ قال: أموت، أتشرد، أضيع.. كذا .

إذن هٰذا عنده نوع افتقار إلىٰ المخلوق، هٰذا نوعٌ من الشِّرك الأصغر، ولو قال: ما هٰذا الرَّجل وهٰذا الأمير إلَّا سبب ﴿وَفِي ٱلسَّمَآءِ رِزۡقُكُمۡ وَمَا تُوعَدُونَ ٢٢﴾[الذاريات] فهٰذا ليس عنده أي نوع افتقار.

إذن **الأوَّل** من أنواع التَّوكُّل: **اعتماد مطلق**، وتفويض جميع أموره إليه، واعتقاد أنَّ بيده جلب المنافع ودفع المضار، صرفه لغير الله شرك أكبر، وهٰذا الذي عناه المصنِّف رَحِمَهُ ٱللَّهُ.

الثَّاني: اعتماد علىٰ حي مع نوع افتقار، هٰذا نوعٌ من الشِّرك الأصغر.

الثَّالث: وكالة، ولا يصحُّ أن تقول: توكَّلت علىٰ فلان، ولا يصحُّ أن تقول: توكَّلت علىٰ الله ثم علىٰ فلان، بل

تقول: وكَّلت أي فوَّضت فلان.

وكَّل النَّبيُّ ﷺ في شؤون العامَّة والخاصَّة، في شؤون العامَّة وكَّل من يقوم علىٰ الحجِّ، وكَّل من يقوم علىٰ المدينة، وكَّل في شؤونه الخاصَّة من يشتري له أضحية، وكَّل عليًّا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن ينحر ما بقي من هديه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

إذن سبب تقسيم الشَّيخ ابن عثيمين التوكل إلىٰ ثلاثة أقسام؛ لأنّ هٰذا نوعٌ من التَّفويض؛ لكن هٰذا لا يصح، لا يصح تقول توكَّلت علىٰ فلان، بل تقول: وكَّلت، هٰذا معنىٰ أنَّك أنت أعلىٰ منه مرتبةً.

إذن الخلاصة أنَّ التَّوكل ينقسم إلىٰ ثلاثة أقسام:

الأوَّل: شركٌ أكبر، صرفه لغير الله.

والثَّاني: شركٌ أصغر، اعتماد علىٰ حي مع نوع افتقار.

والثَّالث: وكالة، ولا يصح أن تقول: توكَّلت علىٰ فلان، أو توكَّلت علىٰ الله ثم فلان؛ بل تقول: فوَّضت أي وكّلت.

(الثَّالِثُ: مَنْ لَمْ يُكَفِّرِ المُشْرِكِينَ، أَوْ شَكَّ فِي كُفْرِهِمْ، أَوْ صَحَّحَ مَذْهَبَهُمْ، كَفَرَ)

المسألة الثَّالثة: هي معنىٰ لا إلٰه إلا الله، لأنَّ لا إلٰه إلا الله فيها نفيٌ وإثباتٌ، ومن شروط لا إلٰه إلا الله تقدَّم معنا الكفر بما يُعبد من دون الله؛ فإن شكّ أو توقَّف أو تردَّد ليس موحِّدًا، فالكفَّار الذين بُعث فيهم النَّبيُّ ﷺ سواء كانوا يهودًا أو نصارىٰ بلغتهم الدَّعوة الذين في زمن النّبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- والذين في زمننا الآن، ولم يدخلوا في الدِّين فهم كفَّار، حتىٰ وإن كانوا علىٰ مثل ما كان عليه موسىٰ وعيسىٰ -عَلَيْهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- والأدلَّة كثيرة:

﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلۡحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾[التوبة:٢٩] إذن الدين باطل، ﴿ وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ ﴾[آل عمران:٨٥] قال النبي ﷺ : «**والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ ثم لا يؤمن بي إلَّا كان من أهل النَّار**»، قال : «**من قال: لا إلٰه إلا الله، وكفر بما يُعبد من دون الله حرَّم دمه وماله**» يعني الذي لم يكفر بما عُبد من دون الله لم يحرم دمه ولا ماله.

إذاً لابدَّ في لا إلٰه إلا الله من نفي وإثبات، كفر بالطَّاغوت وإيمان بالله ﴿فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ ﴾ [البقرة:٢٥٦].

قال إبراهيم -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- فيما قاله الله ﷻ: ﴿إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي﴾ [الزخرف] فاستثنىٰ من المعبودين ربّه.

إذاً لابد في شهادة الإخلاص -وقلنا: هٰذا شرط من شروط لا إلٰه إلَّا الله- الكفر بما يعبد من دون الله، فإن شكَّ في الكفر بما يُعبد من دون الله أو توقَّف قال: أنا متوقِّفٌ في هٰذه المسألة، أو تردَّد، قال: هٰذا ليس موحِّدٌ، وقال الإمام محمَّد بن عبد الوهاب: (فيا لها من مسألة ما أعظمها، وحجَّة ما أقطعها للمنازع).

وهٰذا من أعظم ما يبيِّن معنىٰ لا إلٰه إلا الله، فإنَّه لم يجعل التَّلفُّظ بها عاصمًا للدَّم والمال؛ بل ولا الإقرار؛ بل ولا العمل حتىٰ يُضيف إلىٰ ذلك الكفر بما يُعبد من دون الله.

إذًا لا بد في لا إلٰه إلا الله من الكفر بالطَّاغوت والإيمان بالله، ولابدَّ أن تبرأ من الشِّرك وأهله.

وهٰذا تقدَّم معنا: أنه يكون بالقلب واللِّسان والجوارح، ولا تصحِّح ما هم عليه؛ بل لابد تعتقد أنَّ ما هم عليه كفر وضلال .

(الرَّابِعُ: مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ غَيْرَ هَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ أَكْمَلُ مِنْ هَدْيِهِ أَوْ أَنَّ حُكْمَ غَيْرِهِ أَحْسَنُ مِنْ حُكْمِهِ كَالَّذِينَ يُفَضِّلُونَ حُكْمَ الطَّوَاغِيتِ عَلَىٰ حُكْمِهِ فَهُوَ كَافِرٌ..)

خير الهدي هدي محمَّد ﷺ، ولذلك كان أهل السُّنَّة والجماعة في العادة أنَّهم لا يركِّزون كثيرًا علىٰ تراجم العلماء وما ذلك، حتىٰ لا يعلِّقُوا النَّاس بالمشايخ وما إلىٰ ذلك، ولكن يعلِّقُون النَّاس بهدي النَّبيِّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- لأنَّه هو الميزان- عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب:٢١] ، ولذلك خير الهدي هدي محمَّدٍ ﷺ .

فلو جاءنا إنسان وقال: هٰذا الدُّعاء جاء عن شيخ الإسلام ابن تيمية مثلًا هل يقدَّم هٰذا علىٰ ما جاء عن النَّبيِّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-؟

لا. لأنَّه لو قُدِّم هٰذا كأنَّه هو يعتقد أنَّ هدي شيخ الإسلام أحسن من هدي النَّبيِّ ﷺ.

إذاً خير الهدي هدي محمَّد ﷺ، وأنّه لا يمكن نقدِّم هدي أحدٍ علىٰ هدي النَّبي ﷺ، وإلَّا وقعنا في ناقض من نواقض الإسلام.

أو قدّم حكم أحد علىٰ حكم النَّبي ﷺ ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِيٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾﴾[النساء]، وسوف يأتي معنا -إن شاء الله- في «كتاب التَّوحيد» أن الحكم بغير ما أنزل الله ينقسم إلىٰ ثلاثة أقسام :

الأوَّل: -وهٰذا هو النَّاقض- أن يعتقد أنَّ حكم فلان من النَّاس أو من الطَّواغيت مثل حكم الله أو أحسن؛ فإذا اعتقد كَفَر، وإن لم يفعل في هٰذا الحكم مثلًا قاله بلسانه فقط؛ كفر بما جاء به النَّبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

(الرَّابِعُ: مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ غَيْرَ هَدْيِ النَّبِيِّ ﷺ أَكْمَلُ مِنْ هَدْيِهِ)

إذاً النَّبي ﷺ هديه أكمل الهدي ﷺ ولذلك أمرنا بإتِّباع ما جاء به النَّبيُّ ﷺ ﴿ لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ ﴾[الأحزاب:٢١] في كلِّ العبادات، وهٰذا رد علىٰ المتصوِّفة وغيرهم.

(أَوْ أَنَّ حُكْمَ غَيْرِهِ أَحْسَنُ مِنْ حُكْمِهِ).

لا يمكن أن يكون أحد حكمه مثل حكم النَّبي ﷺ فضلاً أن يكون أحسن منه.

(كَالَّذِينَ يُفَضِّلُونَ حُكْمَ الطَّوَاغِيتِ عَلَىٰ حُكْمِهِ فَهُوَ كَافِرٌ..)

هٰذا إن اعتقد، وإن لم يعتقد وكان لهوًىٰ في نفسه أو حبِّ رياسة أو منصب أو ما إلىٰ ذلك، فهٰذا كفر دون كفر وفسق، وإذا كان يقتطع بهٰذه بالحكومة حقَّ مسلم فهو ظلم وعلىٰ خطر عظيم.

إذاً الحكم بغير ما أنزل الله ينقسم إلىٰ ثلاثة أقسام :

الأوَّل: أن يعتقد أنَّ حكم فلان من النَّاس و الطَّواغيت مثل حكم الله أو أحسن فهٰذا كفر أكبر مخرج من الملَّة

.

الثَّاني: أن يعتقد أنَّ حكم الله يجب أن يُطبَّق ولكن يقدّم حكم الطَّواغيت أو غيرهم، قال: مع اعتقاد أنَّ حكم الله هو الأصلح للعباد والبلاد، وقدَّمه لهوىٰ في نفسه، فهٰذا كفر دون كفر وفسق، وإن كان بهٰذه الحكومة يقتطع حقّ امرئ مسلم فهو ظلم.

ونقول: هٰذا الطَّريق طريقٌ خطيرٌ وموشك أن يوقع بهٰذا الرَّجل- نسأل الله السَّلامة والعافية - في الكفر الأكبر المخرج من الملة.

الثَّالث: أن يكون جاهل لا يدري، يسمع هٰذا الحكم من أحد الأشخاص، ويظنّ أن هٰذا حكم الله يرجع إلىٰ تقسيم الجهل، وسوف يأتي معنا إن شاء الله تعالىٰ.

(الخَامِسُ: مَنْ أَبْغَضَ شَيْئًا مِمَّا جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ﷺ وَلَوْ عَمِلَ بِهِ كَفَرَ.)

المحبَّة تكون لكلِّ أوامر الشَّرع، لابدَّ أن تحبَّ الله ﷻ ولا يمكن أحد أن يكون محبته مثل محبَّة الله لا النَّبي ﷺ ولا غيره، ولابدّ تحبّ كل ما جاء في الكتاب والسُّنة، كلُّ ما أمر الله ﷻ به فقال: (مَنْ أَبْغَضَ شَيْئًا)، وشيء يشمل كلَّ شيء قليل أو كثير ممَّا جاء به النَّبي -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- (وَلَوْ عَمِلَ بِهِ) يقول: (كَفَرَ)

نسأل الله السَّلامة والعافية.

مثاله كان يبغض الصَّلاة ويصلِّي قال: هٰذا كافر؛ لأنه كره شيء ممَّا جاء به النَّبي عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

(السَّادِسُ: مَنِ اسْتَهْزَأَ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِ الرَّسُول ﷺ أَوْ ثَوَابِ الله أَوْ عِقَابِهِ كَفَرَ؛ والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالىٰ: ﴿سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةًۢ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾[التوبة].)

النَّاقض السَّادس هو الاستهزاء، مَن استهزأ بالله أو بآياته سواء كانت آيات شرعيَّة أو آيات كونيَّة. فمن استهزأ بالصَّلاة ولو نافلة كفر، ومَن استهزأ بالصِّيام و الحجّ هٰذه آيات شرعية.

ومَن استهزأ بالآيات الكونية مثلا من يقول: وقوع البرد في هٰذه الأيام سفه، أو ما إلىٰ ذلك، هٰذا كافر.

أو بالرَّسول أو استهزأ بالأنبياء والرُّسل -عليهم الصَّلاة والسَّلام- هٰذا كافر.

هٰذا الأمر أمر مهمٌّ جدًّا، ولابد التَّنبُّه له، وهو أنَّه قد يتكلَّم الإنسان بكلمة ولا يُلقي لها بالًا، ويقولها من باب المِزاح أو الهزل، أو ما إلىٰ ذلك، ويكون بها كافرًا مرتدًّا، نسأل الله السَّلامة والعافية.

والصَّحيح أنَّ المستهزئ إذا تاب قُبِلت توبته؛ لعموم الأدلَّة ﴿۞ قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ﴾[الزمر:٣٥] ، لكن يتوب بشروط:

الأوَّل: أن نَعلم صدق توبة هٰذا المستهزئ.

الثاني: أن يُثني علىٰ الله ﷻ.

الثالث: أن يتبرَّأ ممَّا قال. يعني أن يُعلِن علىٰ الملأ أن هٰذا الكلام الذي قاله كفر واستهزاء وأنَّه تاب منه.

إذن لابد أن هٰذا المستهزئ يتوب، وإلَّا –نسأل الله السلامة والعافية– كان مرتد. ﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ ﴾ يعني ما بقي أن تجعلوا مجالًا للَّعب والسُّخرية وغيره إلَّا أن تستهزئوا بهؤلاء الثَّلاثة الذين هم أحقُّ الحق ﴿ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ ﴾ الشَّرعية والكونية ﴿ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾[التوبة:٦٥].

وسوف يأتي معنا في نهاية هٰذه النَّواقض- إنْ شاء الله تعالىٰ- أنَّ النَّواقض خلاصتُها أربعة أشياء: قول، وفعل، واعتقاد، وشك.

وهٰذا الاستهزاء من أعظم الكفر، لأن الكفر ينقسم إلىٰ قسمين: كفر إعراض. وكفر معارَضة.

- كفر إعراض: يعني لا يدخل في الدِّين، ولكن لا يتعرَّض لمحاربة هٰذا الدِّين، مثل ما حصل من أبي طالب، هٰذا أعرض عن الدِّين.

- لكن كفر معارَضة، مثل ما حصل من أبي جهل وأبي لهب ومن فرعون مثلا.

هٰذا المستهزئ مَن أيّ هذين النوعين؟ كفر معارَضة؛ إذن أعظم الكفر هٰذا الذي يستهزئ ويسبّ، وما بقي أن يستهزئ ويلعب ويسخر إلَّا بأحقِّ الحق هؤلاء الثَّلاثة ﴿قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾.

وسوف يأتي معنا -إن شاء الله- باب كامل: باب مَن هزل بشيء فيه ذكر الله أو القرآن أو الرَّسول ﷺ وقلنا: الرَّسول يشمل كلَّ رسول من الأنبياء والرُّسل -عليهم الصَّلاة والسَّلام- ، يأتينا -إن شاء الله- في «كتاب التَّوحيد».

هٰذه المسألة لابد التنبُّه لها؛ لأنَّ الله ﷻ أنزل إلينا القرآن وأرسل إلينا النَّبيَّ ﷺ حتىٰ نقف عند حدود الله.

وبعض النَّاس يحفظ شيئًا من الآيات وكذا يقولها من باب اللَّعب والمزاح، هٰذا إذا كانت المسألة واضحة بيِّنة، سبٌّ للدِّين، سبٌّ للرّب، سبٌّ للرَّسول -عليه الصَّلاة والسَّلام- قال: هٰذا يكفر ولا يمكن أن نتردَّد فيه.

وفتوىٰ اللَّجنة الدَّائمة عندنا: إذا كانت المسألة محتمِلة-يعني قال كلاما أو تكلم بآية وضحك النَّاس مثلا- يُنبَّه، إن تاب تركناه وإن أصرّ كفَّرناه.

إذن لابد نقف عند حدود الله ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ﴾ قال: ﴿وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ أي خافت قلوبهم، ﴿وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا﴾[الأنفال:٢] هٰذا هو المؤمن يقف عند حدود الله.

وبعض النَّاس يقول: هٰذه المسألة نرجع إلىٰ ما في قلبه، وهٰذا لعله كان غضبانًا أو ما إلىٰ ذلك من الأعذار. سبحان الله! لماذا عندما يغضب هٰذا لا يسبُّ العشيرة والقبيلة والوالدين ولا يسب رئيس الدَّولة مثلا، لماذا؟ يقول: لأنَّه يخاف إن سبَّ رئيس الدَّولة مثلا يزجُّ به في السِّجن، أمَّا التَّعدي علىٰ حقّ الله، هٰذا الأمر سهل واضح!!

وتجد هٰذا الحزم في هٰذه المسألة أثمرَت في هٰذه الدولة بفضل الله ﷻ أنَّك لا تسمع -بفضل الله- يومٌ أحدا من النَّاس يسبُّ أو يشتم، لٰكِن في بعض البلدان -نسأل الله السلامة والعافية- تسمع السَّب من الصغير قبل الكبير، وفي النهاية يقول: إنَّه مسلم، كيف يكون مسلما وهو أحقُّ الحقِّ يكون عنده شيء غير موقَّر وغير محترم، يُسبّ ويُشتم ليلًا ونهارًا.

(السَّادِسُ: مَنِ اسْتَهْزَأَ بِشَيْءٍ مِنْ دِينِ الرَّسُولِ ﷺ)

(بِشَيْءٍ) والشَّيء هنا يشمل القليل والكثير، فيه ذكر الله أو القرآن أو الرَّسول أو استهزأ بآيات الله الشَّرعية أو

الكونية كفر.

(أَوْ ثَوَابِ الله أَوْ عِقَابِهِ كَفَرَ) أو ثواب الله ﷻ أو عقابه، ما أعدّ الله ﷻ للمتّقين وما أعدَّ الله ﷻ للمجرمين نسأل الله السَّلامة والعافية.

(والدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالىٰ) الدّليل علىٰ كفر المستهزئ قول الله ﷻ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ﴾ هٰذا فيه بيان علم الله ﷻ بما سيكون، لأنّ عندما قال رجل: ما رأينا مثل قرّائنا؟ أنزل الله ﷻ علىٰ النبي ﷺ: ﴿ وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ ﴾ بَانَ علم الله ﷻ بما سيكون وهٰذا تقدّم معنا.

والثَّاني: أنَّ النَّبي ﷺ يحكم بما أنزل الله إليه.

والثَّالث: استعمال الغِلظة في موضعها، لأنَّ الأصل أنَّ من جاء يعتذِر أن تُقبَل منه التَّوبة ويُرحَم، لكن قال: أنَّ هٰذا ليس أهلًا للرَّحمة، والشَّرع استعمل اللِّين في مواضع واستعمل الغلظة في مواضعها، لأنّ الأصل أنَّ من جاء يعتذر أن تُقبل منه التَّوبة ويرحم؛ لكن هذا ليس أهلًا للرَّحمة، والشَّرع استعمل اللين في مواضع واستعمل الغلظة في مواضع، وهٰذا من باب استعمال الغلظة.

(﴿سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴿٦٥﴾﴾)

﴿ قُلْ أَبِاللَّهِ ﴾ يعني ما بقي أن تستهزئوا إلَّا بهؤلاء الثَّلاثة الذين هم أحقُّ الحق؟! ﴿ أَبِاللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ ﴾ الشَّرعية والكونية ﴿ وَرَسُولِهِۦ ﴾ يشمل كلَّ نبي من الأنبياء والرُّسل -عَلَيْهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- ﴿ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ﴾؟! قال: ﴿ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ﴾، وهٰذا فيه دليل أنَّ المستهزئ يكفُر، وأنّ من فعل هٰذا كائنًا من كان فهو كافر مرتد نسأل الله السَّلامة والعافية.

(﴿ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ ۚ إِن نَّعْفُ عَن طَآئِفَةٍ مِّنكُمْ نُعَذِّبْ طَآئِفَةً بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ مُجْرِمِينَ ﴿٦٦﴾﴾)

وهٰذا فيه دليل علىٰ قَبول توبة المستهزئ، بشروط ثلاثة:

- أن نعلم صدق توبة هٰذا المستهزئ.
- وأن يُثني علىٰ الله ﷻ.
- وأن يتبرَّأ ممَّا قال.

الذي يسمع السَّبّ والاستهزاء، إمَّا أن يُنكِر كما في سبب نزول هٰذه الآية، قال عَوف: كذبتَ ولكنَّك منافق؛ المؤمن الحقّ ينكر أو ينصرِف، وإن بقي وسمع السَّب والاستهزاء ولم ينكر ولم ينصرف، حُكمه حكم السَّاب

المستهزئ، والدَّليل على من يسمع السَّب أنّ الله ﷻ قال: ﴿وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا۟ مَعَهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦٓ ۚ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ﴾[النساء:١٤٠].

إذن الذي يسمع السَّب والاستهزاء إمَّا يُنكِر كما أنكر عَوف رضي الله عنه كما سوف يأتي معنا في سبب نزول الآية - إن شاء الله- في «كتاب التَّوحيد»، أو ينصرف، وإن بقي وسمع، حكمه حكم السَّاب المستهزئ نسأل الله السَّلامة والعافية.

وهٰذا فيه التَّحذير من السَّماع لهؤلاء أو مشاهدة أحيانًا بعض القنوات فالذين يمثِّلون بالصَّحابة بالنَّبي ﷺ؛ بالأنبياء والرُّسل -عليهم الصَّلاة والسَّلام- وغيره هٰذا استهزاء وسخرية، لا يصح النَّظر إلىٰ مثل هٰذه البرامج.

قال رحمه الله: (السَّابِعُ: السِّحْرُ، وَمِنْهُ الصَّرْفُ وَالْعَطْفُ)

ما وجه إيراد المصنِّف رحمه الله السِّحر في نواقض الإسلام؟

لأنَّ السِّحر لا يمكن أن يتأتَّىٰ للسَّاحر إلَّا بالكفر بالله ﷻ: ﴿وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ﴾[البقرة:١٠٢] ، فلا يمكن للسَّاحر أن يأتي بما يريد إلَّا بالكفر بالله نسأل الله السَّلامة والعافية.

ثم هو تقوم عليه الحجَّة لأنَّ هٰذا الشَّيطان يقول له: لا يمكن أن أصنع لك شيئًا حتىٰ تكفر بالله نسأل الله السَّلامة والعافية، وهٰذا السَّاحر عبدٌ للشَّيطان، كلّما يزيد من عبادة هٰذا الشَّيطان كلَّما يزيد هٰذا في سحره وما إلىٰ ذلك.

قال النَّاقِض هو (السِّحْرُ) ولأنَّ السَّاحر يكفر، والأصل أنَّه يُقتَل ولا يُستتاب، هٰذا الرَّأي يراه الإمام محمَّد بن عبد الوهاب رحمه الله.

(السِّحْرُ، وَمِنْهُ الصَّرْفُ) ﴿فَيَتَعَلَّمُونَ مِنْهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَزَوْجِهِۦ ۚ﴾[البقرة:١٠٢]. الصَّرف: يعني يُصرف الرَّجل عن المرأة، سواء كانت هٰذه المرأة هي زوجته أو غيرها. (وَالْعَطْفُ) يُجعل الرَّجل ينعطف ويحنُّ علىٰ زوجته أو علىٰ غيرها.

وهنا ضرب لنا أمثلة علىٰ شيء من أنواع السِّحر، وسوف يأتي معنا إن شاء الله في «كتاب التَّوحيد» أكثر من باب في السِّحر.

(فَمَنْ فَعَلَهُ أَوْ رَضِيَ بِهِ كَفَرَ.) لأنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «ليس منَّا مَن سَحر أو سُحِر له» يعني رضي به، كفر.

(وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنْ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحْنُ فِتْنَةٌ فَلَا تَكْفُرْ ۖ ﴾).

(الثَّامِنُ: مُظَاهَرَةُ الْمُشْرِكِينَ وَمُعَاوَنَتُهُم عَلَىٰ الْمُسْلِمِينَ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُۥ مِنْهُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٥١﴾﴾[1])

هٰذا إذا اعتقد أنَّه يُعين الكفَّار علىٰ المسلمين، فإن اعتقد هٰذا وأراد أنَّ الكفَّار يظهروا علىٰ المسلمين هٰذا كفر.

(التَّاسِعُ: مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّ بَعْضَ النَّاسِ يسعه الخروج علىٰ شرعية محمّدٍ ﷺ كَمَا وَسِعَ الخَضِرَ الخُرُوجُ عَنْ شَرِيعَةِ مُوسَىٰ عليه السلام فَهُوَ كَافِرٌ.)

النَّبي ﷺ بُعِثَ إلىٰ النَّاس كافَّة؛ بل إلىٰ الثَّقلين الجنّ والإنس، ولا أحد يستطيع أن يتخلَّف عن شريعته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

وكان النَّبيّ من الأنبياء-عَلَيْهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- يُبعَث إلىٰ قومه خاصَّة، وبُعِث -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- إلىٰ النَّاس كافَّة بل إلىٰ الثَّقلين الجنّ والإنس. إذن لا يمكن أحدَ من الثَّقلين أن يتخلَّف عن شريعته -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-، وهٰذا تقدَّم معنا.

اليهود والنَّصارىٰ زمن النَّبي ﷺ الذين بلغتهم الدَّعوة وكذلك الذين في زمننا اليوم بلغتهم الدَّعوة ولم يدخلوا في الدِّين فهم كفار، حتىٰ وإن كانوا علىٰ مثل ما كان عليه موسىٰ وعيسىٰ -عليهما الصَّلاة والسَّلام-، والأدلة قلنا كثيرة منها: ﴿قَٰتِلُوا۟ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ ٱلْحَقِّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْكِتَٰبَ﴾[2]، إذن دين باطل، حتىٰ وإن كانوا علىٰ مثل ما كان عليه موسىٰ وعيسىٰ -عليهما الصَّلاة والسَّلام-. وقال هو -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ-: «والذي نفسي بيده» أقسم -عليه الصَّلاة والسَّلام -وهو صادقٌ بلا قسم «لَا يسمع بي يهوديّ ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلَّا كان من أهل النَّار».

إذن هٰذه المسألة نقول في الرَّد عليها: من يقول أنَّ هناك أحدٌ يسعه الخروج عن شريعة محمّد ﷺ، نقول:

أوَّلًا: النَّبيّ ﷺ بُعِثَ للنَّاس كافَّة، وكان النَّبيُّ من الأنبياء يبعث إلىٰ قومه خاصَّة.

الثَّاني: من قال لنا: إنَّ الخِضر خرج عن شريعة موسىٰ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؟

نقول: أثبتوا هٰذا أوَّلًا.

---

(١) سورة: المائدة، الآية (٥١).

(٢) سورة: التوبة، الآية (٢٩).

ثم حتَّىٰ لو أثبتوا هٰذا الأمر، نقول: هٰذا خاصٌّ بموسىٰ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- أنَّه كان بُعث إلىٰ قومه خاصَّة. وهٰذا النَّبيُّ -عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ- بُعث إلىٰ النَّاس كافَّة؛ بل إلىٰ الثَّقلين.

الثَّالث: ذكرنا أدلَّة من الكتاب والسُّنة في كُفر كلّ من بلغته دعوة محمَّد ﷺ ولم يؤمن به، كائنا من كان.

وهٰذه المسألة مهمَّة جدًّا؛ لأنَّ هناك اليوم من يصحِّح مذهب هؤلاء، ويقول: أتركوهم طالما هم علىٰ ما كان عليه الأنبياء والرُّسل عَلَيْهِم الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

(الْعَاشِرُ: الإِعْرَاضُ عَنْ دِينِ اللهِ، لَا يَتَعَلَّمُهُ وَلَا يَعْمَلُ بِهِ.

وَالدَّلِيلُ قَوْلُهُ تَعَالَىٰ: ﴿وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ مُنتَقِمُونَ ﴿٢٢﴾﴾)

الإعراض عن دين الله ﷻ بالكلِّيَّة، لا يتعلَّم الدِّين ولا يعمل به كفر بالله ﷻ نسأل الله السَّلامة والعافية.

(وَلَا فَرْقَ فِي جَمِيعِ هَـٰذِهِ النَّوَاقِض بَيْنَ الهَازِلِ وَالجَادِّ وَالخَائِفِ، إِلَّا الْمُكْرَه)

يقول: لا فرق بين الجاد والهازِل؛ لأنَّ النَّبيَّ ﷺ قال: «ثلاثٌ جدُّهنَّ جدّ وهزلهن جد» وذكر منها: «الرِّدَّة»، ومنها: الاستهزاء، سواء كان هو جاد أو مستهزئ ولاعِب، والآية واضحة في هٰذا.

قال: (وَالخَائِفِ) و يقصد هنا بالخوف يخاف علىٰ سلطانه، يخاف علىٰ ماله وما إلىٰ ذلك.

ولم يستثن الله ﷻ: (إِلَّا المُكْرَه) ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾[النحل:١٠٦] ، لأنَّ عمل القلب ما يُكرَه عليه أحد، قد يُكرَه علىٰ القول أو يُكرَه علىٰ الفعل، أمَّا عمل القلب هٰذا لا يدري عنه إلَّا الله ﷻ. وهٰذه الأنواع التي ذكرها كلها فيها اعتقاد، وهناك قلنا: إنَّ خلاصتها إمَّا قول أو فعل أو اعتقاد أو شك.

استثنىٰ الله ﷻ المكرَه بشروطٍ:

أوَّلًا: أن يكون قلبه مطمئنًّا بالإيمان.

الثاني: أن يكون الإكراه لا يزيد فيه.

مثاله: أُكرِه علىٰ سبّ مثلا أحد الصَّحابة، فإذا سبَّ الجميع، نقول: أنت أُكرِهتَ علىٰ واحدٍ فعندما تعدَّيتَ في هٰذا الإكراه فأنت -نسأل الله السلامة والعافية- كافرٌ.

أن يُعرِّض المكرَه ما استطاع، كما كان العلماء زمن أحمد يقولون: (التَّوراة والإنجيل والزَّبور والقرآن هٰذه مخلوقة) يعنون بالأصابع أنَّها مخلوقة، يُعرِّض ما استطاع.

أيضًا من شروط الإكراه ألَّا يكون الإكراه فيه تعدّي علىٰ غيره وإفساد.

أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ هل هو مكرَه أن يقول بخلق القرآن؟ لا؛ لأنَّه لو قال هٰذا لتعدَّىٰ الأمر إلىٰ الأمَّة، وبعض العلماء

زمن أحمد حكموا عليهم العلماء بأنهم أُكرِهوا بالقول بخلق القرآن، لماذا؟ لأنَّ أحمد لو قال بهٰذا الكلام لضلَّت الأمَّة ومن خلفه، ولذلك سُمِّي الإمام أحمد إمام أهل السُّنّة؛ لأنَّه وقف في فتنة خلق القرآن. (١)

(وَكُلُّهَا مِنْ أَعْظَمِ مَا يَكُونُ خَطَرًا) وهٰذا دليل أنَّ الإمام محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ يرىٰ أنَّ النَّواقض ليست محصورة بعشرة، لٰكِن هٰذه من أخطر ما يكون.

وهٰذا من النُّصح للأمَّة أنَّ الإمام محمَّد بن عبد الوهاب رَحِمَهُ اللَّهُ بيَّن هٰذه النَّواقض لنا حتىٰ نجتنَّبها، وذكر كلَّ ناقض مقرون بالدَّليل، وهٰذا من عادة علماء السَّلف، ومنهم الإمام محمَّد بن عبد الوهَّاب رَحِمَهُ اللَّهُ.

(وَمِنْ أَكْثَرِ مَا يَكُونُ وُقُوعًا، فَيَنْبَغِي لِلْمُسْلِمِ أَنْ يَحْذَرَهَا، وَيَخَافَ مِنْهَا عَلَىٰ نَفْسِهِ، نَعُوذُ بِاللهِ مِنْ مُوجِبَاتِ غَضَبِهِ وَأَلِيمِ عِقَابِهِ،

وَصَلَّىٰ اللهُ عَلَىٰ خَيْرِ خَلْقِهِ مُحَمَّدٍ وَعلىٰ آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ)

عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ والله أعلم، وصلَّىٰ الله علىٰ محمَّد وعلىٰ آله وصحبه وسلَّم

---

(١) والإكراه قلنا له شروط:

الأوَّل: أن يكون مكرَهًا، أخرج به إذا كان غير مكره، مثل الخائف هٰذا.

الثَّاني: أن لا يتعدَّىٰ، فإذا أكرِه علىٰ سبِّ واحدٍ مثلا ، وتعدَّىٰ علىٰ أكثر من واحد، فهذا كفر؛ لأنَّه أكرِه علىٰ واحدٍ.

الثَّالث: أن يعرِّض ما استطاع.

الرَّابع: ﴿إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُۥ مُطْمَئِنٌّۢ بِٱلْإِيمَٰنِ﴾؛ لأنَّه ما أحد يُكرَه علىٰ عمل القلب.

الخامس: فيه تعدِّي وإفساد علىٰ غيره، أو يكون به ضلال النَّاس، كما مثَّلنا بفتنة الإمام أحمد رَحِمَهُ اللَّهُ، أو مثلا من أكره علىٰ قتل إنسان فمن أجل أن يُبقي علىٰ حياته يزهق حياة الآخرين، هٰذا لا يصح.

سالم موقع التفريغ للدروس العلمية والبحوث الشرعية www.attafreegh.com